بسم الله الرحمن الرحيم

الترجمة

مشهد التعددية اللغوية والدفاع عنها

تأليف

François Ost

ترجمة

د. إبراهيم بن يوسف البلوي

قسم اللغة الفرنسية والترجمة

كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود

د. محمد بن عمار الجويلي

كلية الآداب والفنون والإنسانيات

جامعة منوبة، منوبة، تونس

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

ح دار جامعة الملك سعود للنشر، ١٤٣٧هـ (٢٠١٦م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أوست، فرنسوا

الترجمة: مشهد التعددية اللغوية والدفاع عنها./ فرنسوا أوست؛ إبراهيم بن يوسف البلوي؛ محمد بن عمار الجويلي.- الرياض، ١٤٣٧هـ

٥٩٧ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ١-٤٧١-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الترجمة ٢- تعددية اللغات أ. البلوي، إبراهيم بن يوسف (مترجم)

ب. الجويلي، محمد بن عمار (مترجم) ج. العنوان

ديوي ٤٠٨,٢ ١٤٣٧/١٩٩٨

رقم الإيداع: ١٤٣٧/١٩٩٨

ردمك: ١-٤٧١-٥٠٧-٦٠٣-٩٧٨

هذه ترجمة عربية محكمة صادرة عن مركز الترجمة بالجامعة لكتاب:

Traduire: Défense et illustration du multilinguisme
By: François Ost
© Fayard, 2009
وقد وافق المجلس العلمي على نشرها في اجتماعه الثاني والعشرين للعام الدراسي ١٤٣٤/ ١٤٣٥هـ المعقود بتاريخ ١١/ ٨/ ١٤٣٥هـ الموافق ٩/ ٦/ ٢٠١٤م.

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من الكتاب بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

مقدمة المترجميْن

يقول فرنسوا أوست François Ost صاحب كتاب "الترجمة: مشهد التعدّديّة اللّغويّة والدفاع عنها" الذي اخترناه للنقل إلى العربيّة من ضمن كمّ هائل من الكتب المنشغلة بالترجمة ونظرياتها وقضاياها وفلسفتها "وليس من نافلة القول التذكير في سياق التعصّب الذي يشهده هذا العصر، أنّه لولا مراكز الترجمة الكبرى العربيّة ... ما كان يمكن لنا أن ننفذ إلى عدد كبير من النصوص الإغريقيّة، ومن الدلالة بمكان أنّ "استفاقة" الغرب المسيحي حدثت في غرب عربيّ (الأندلس) وفي مشرق مسيحي (بيزنطة)". قد تبدو هذه الشهادة أمرًا بديهيًّا بالنسبة إلى المختصّين سواء في التاريخ بصفة عامة أو في تاريخ الترجمة على وجه الخصوص ولكن لهذا التذكير دلالة خاصة في هذا العصر الذي يسمه المؤلّف بالتعصّب ولا شكّ أنّه يقصد بذلك التعصّب الذي أصبح موضوعه في العقد الأخير العرب والمسلمين أكثر من أيّ وقت مضى ولربّما بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الإنسانيّة المعاصر بتحميلهم المسؤولية لوحدهم عمّا يحدث من عنف ودمار في العالم.

لقد ذكّر أوست والذكرى تنفع المؤمنين بالتلميح أنّ العرب والمسلمين هم أصحاب رسالة حضاريّة ولهم فضائل على الغرب نفسه ودور أساس في تمدينه وبالتصريح في القسم الذي عنونه بـ"المنعرج العربي والترجمات الأولى" بتحوّل مركز ثقل الفكر الإنساني في العصر الوسيط إلى العالم العربي وكان من آثاره المباشرة تنشيط حركة الترجمة نشاطًا مكثّفًا في مرحلة أولى بنقل النصوص العلميّة والفلسفيّة الغربيّة تدريجيًا إلى العربيّة وقد لعب كبار العلماء والفلاسفة المسلمين مثل ابن سينا وابن رشد الدور الأساس في ذلك وفي مرحلة ثانية مع القرن العاشر ميلاديًّا في الطريق المعاكس بالنقل إلى اللّغة اللّاتينيّة عصارة الفكر الإنساني التي لم تكن قاطرته نحو التقدم إلّا اللّغة العربيّة التي اهتمت حضارتها بالنقل عن الحضارات السابقة لها.

وفي الحقيقة لم تكن هذه الشهادة بالطبع على أهمّيتها لكونها صادرة عن عالم وأكاديمي أوروبي مشهود له بالكفاءة العالية عالميًّا هي بالطبع دافعنا إلى ترجمة هذا الكتاب حتّى وإن كنّا واعيَيْن أنها من صميم البحث العلمي وأخلاقياته التي تنصّ على النزاهة العلميّة ولها علاقة بنظريّة الترجمة وفلسفة المؤلّف في ذلك التي يعتبرها ليس فقط مجرّد تقنية في خدمة التواصل بين الشعوب وإنّما بالخصوص "النموذج الذي يحتاجه عالمنا ليعمّ التفاهم يبننا فنعالج أكثر التحدّيات أهمّية التي تعترضنا" على حدّ قوله وإنّما كان حافزنا إلى ذلك طبيعة كلّ من التأليف الذي نقترحه مترجمًا بين أيدي القارئ العربي ومؤلّفه الذين لا يمكن أن نفصل بينهما. ففرنسوا أوست ليس إلّا أحد أهمّ الأكاديميين في العالم المنشغلين بقضايا التعدّديّة اللّغويّة والثقافيّة، علاوة على اهتمامه بنظريّة الترجمة التي هي في صلب معركة التعدّديّة هذه وقطب الرحى فيها. الرجل متعدّد الاختصاصات، فهو بالإضافة إلى أنّه أديب مبدع وكاتب مسرحي هو أستاذ في القانون وفلسفته كما في نظريات اللّغة والترجمة في جامعة جينيف وفي

جامعات عالميّة مختلفة ومعظم مؤلّفاته قد تُرجمت إلى العديد من اللّغات منها الإنجليزية والإسبانيّة والإيطاليّة والبرتغاليّة ونحن هنا ننقل أحدها وأكثرها ارتباطًا بهموم الترجمة في علاقتها بالتعدّدية اللغوية إلى اللّغة العربيّة. لقد جلبت له مؤلّفاته حظوة وتشريفًا في وطنه بلجيكا، حيث حظي بشرف الانتماء في سنة ٢٠٠٤م إلى الأكاديميّة البلجيكيّة للآداب والفنون كما تحصَّل في سنة ٢٠١٠م باقتراح من معهد فرنسا العريق على الجائزة الكبرى لمؤسّسة الأمير لويس دو بولنياك De Polygniac.

غير أنّ سيرة المؤلّف الذاتيّة ليست مهمّة في ذاتها لو لم تكن في جزء منها على الأقلّ في علاقة وثيقة بالكتاب المُترجَم تنير للقارئ السبيل لفهم سياق تأليفه من جهة وطبيعة محتوياته التي لا يمكن لمؤلّف إنجازها لو كان حبيس اختصاص واحد بعينه في المعرفة الإنسانيّة. الرجل في ذهاب وإياب بين الفلسفة والقانون وفي غدو ورواح بين الأدب واللسانيات والعلوم الثقافيّة والجسر الرابط بين كلِّ هذه الاختصاصات هي الترجمة والغاية من كلِّ ذلك هو الدفاع عن التعدّديّة اللّغويّة التي لا أهميّة لها إلّا باعتبارها ترجمة للتعدّديّة الثقافيّة وفي نهاية المطاف أفضل ما يعبّر عن التنوّع الإنساني الذي هو شرط الوجود البشري الذي يعتقد المؤلّف أنّ المسؤولية الأخلاقيّة للحفاظ عليه والذود عنه في وجه الهجمة الشرسة التي تستهدفه من النزعات الكليانيّة الأيديولوجيّة سواءً أكانت العولمة أم غيرها التي تريد أن تفرض على الإنسانيّة لغة واحدة ونمط عيش واحد وتبعًا لذلك خلق إنسان ذو بعد واحد، ما يعني السير شيئًا فشيئًا نحو فناء محتّم للإنسان والترجمة معًا: الترجمة لا يمكن أن توجد إلّا بتعدّد اللغات التي بدورها لا يمكن أن توجد إلّا بالتعدّد في النوع الإنساني وفناء الواحد منهم يجرّ فناء الآخر، هذه هي خلاصة الكتاب وزبدته، بحيث يصبح الدفاع عن التعدّديّة اللّغويّة دفاعًا عن الترجمة والدفاع عنهما دفاعًا عن الإنسان نفسه وصونًا له من الذوبان في قالب واحد مميت.

وما كان للمؤلّف أن يصل إلى هذه النتيجة بصهر اللغة والترجمة والإنسان في بوتقة واحدة وربطهم في وحدة أنطولوجيّة واحدة ووصل مصير الواحد منهم بالآخر لو لم يكن الكتاب ثمرة تأمّل فلسفي عميق وتنقير – والعبارة لأبي عثمان الجاحظ – في كلِّ الجزئيات بما في ذلك تلك التي لا نراها لأوَّلِ وهلة وبالعين المجرّدة، بل قل بالإدراك المجرّد في الترجمة واللّغة والإنسان أتاحه له زملاؤه في مناسبات متعدّدة كما جاء في شهادة ميلاد كتابه التي وردت على لسانه لإلقاء دروس في الترجمة واللّغات وإلقاء محاضرات في جامعات وندوات مختلفة. لقد كان الدافع الأوّل لإنجاز هذا الكتاب كما يقول هي الدعوة التي تلقّاها من زميله "جان جاك سيور" من كلّية الحقوق في جامعة تولوز Telouse بفرنسا لإلقاء كلمة في ندوة يصفها بالرائقة كان قد نظمها بعنوان "الترجمة القانونيّة" نُشرت أعمالها لاحقًا في مؤلَّفٍ بعنوان "الترجمة والتأويل" عن دار بريلان سنة ٢٠٠٨م ثمّ تتالت المناسبات فقد أسند إليه "كرسي فرانكي" من كلّيتي الفلسفة واللاهوت بجامعة لوفان Louvain اختار أن يخصّص الدروس الستّة المقرّرة فيه لمبحث الترجمة وهكذا أصبحت الدروس والمحاضرات تسير شيئًا فشيئًا نحو مشروع في غاية الأهميّة يتمثّل في إنجاز كتاب كامل يحيط بالإشكاليات التي تطرحها الترجمة والتعدّد اللغوي من كلِّ جوانبهما. ومن الطبيعي ألّا تكفي المناسبتان المذكورتان على أهميّتهما بأن يصل أوست إلى مبتغاه، فترك الزمن يفعل فعله ومشروعه يُطبخ على نار هادئة فواصل تلبية الدعوات التي تلتمس منه المساهمة في إثراء الجدل حول الترجمة والتعدّد اللغوي والإعداد في ذات الوقت لكتابه فالتحق بمعهد فرنسا العريق Collège de France الذي يدرّس فيه صفوة العلماء الفرنسيين لإلقاء محاضرات في نفس الموضوع وكذلك في الأكاديميّة الملكيّة البلجيكيّة في سنة ٢٠٠٧م وفي أكتوبر من نفس العام بجامعة لوزان في ندوة حول الترجمة

والمخيال الأوروبي ثمّ المؤتمر المتعدّد الاختصاصات للدراسات الأدبيّة المنشغل بالترجمة والخرافة فكان من ثمار هذا العمل الدؤوب والترحال في الزمان والمكان من جامعة إلى أخرى ومن ترجمة إلى ترجمة ومن اختصاص إلى اختصاص كتاب "الترجمة: مشهد التعدّديّة اللّغوية والدفاع عنها" الذي بين أيديكم.

لم يكن إذن اختيارنا لهذا الكتاب اعتباطيًّا، لا لكونه عصارة تجربة أوست النظرية والعمليّة في ممارسة اللّغات والترجمة فحسب، وإنّما لكونه كذلك من خلال الدفاع عن التعدّدية اللغوية يضعنا وجهًا لوجه أمام إشكالات الفكر الإنساني المعاصر برمّتها، فيصِل البداية بالنهاية، أو بما يُتوهّم أنّه نهاية التاريخ: في البدء كانت الكلمة وكانت الترجمة، فلا غرابة إذن أن يفتتح مؤلَّفه بالحديث عن زمن البدايات والأصول حين كان البشر يستعملون لغة واحدة والكلمات هي ذاتها قبيل تشييدهم لبرج بابل في أرض كنعان بحثًا عن التسمية وقبل أن تصيبهم اللعنة ويتشتّتوا في الأرض واللّغات. وهنا يقول "إنّ التشظّي اللّغوي هو نقطة البداية في أيّ تفكير جدّي في اللّغة" وتبعًا لذلك في أيّ انشغال لا يقلّ جدّية بالترجمة.

إنّ التعدّديّة اللغوية نعمة وليست نقمة ولا نكبة بابليّة، هذه هي الحقيقة التي يُلِحُّ عليها أوست ويردّدها على كامل صفحات الكتاب، تارة بصريح العبارة وطورًا في ثنايا الكلام والتحليل والتأويل. وإذا كان هاجسه الأساس هو أوروبا التي أعادت تنظيم نفسها في اتحاد بعد أن استطاعت أن تتغلّب على جراحها وأحقادها ومخلّفات الحربين العالميتين – الأوروبيتين في الأصل – المتتاليتين في المنتصف الأوّل من القرن الماضي، فإنّه لا يفوت الفرصة وهو الذي يعلم أنّ هذا الاتحاد هو مشكَّلٌ من لغات متعدّدة تُعتبر رافدًا لوحدتها وليس تهديدًا لها كما يتوهّم البعض وتختلف في أصولها وروافدها باختلاف الدول والأمم التي تنضوي تحته للتأكيد أنّ لغة أوروبا، حينئذ هي

الترجمة. نعم الترجمة لغة، هي لغة اللّغات والجامع بينها. هي اللغة الكونيّة الحقيقية الوحيدة الممكنة التي يمكن إرساؤها على أنقاض الأوهام الطوباويّة في خلق لغة كونيّة تعيد البشريّة إلى ما قبل المحنة البابلّية القديمة والتي برع في إبراز تهافتها وعدّد الكثير من محاولات ابتكارها مثل الفولابوك التي ابتكرها في القرن الثامن عشر الأسقف الكاتوليكي الألماني مارتن شلجر وأنشأها بالمزج بين صوتيات إنجليزية ومصطلحات معجميّة ألمانيّة ولغة الإسبرانتو Esperanto التي ابتكرها بعده بقرن الليتواني لودفيك زامنهوف وغيرهما من اللغات المصطنعة التي سرعان ما تعتريها على حدّ عبارته البلبلة وتتهاوى كبرج بابل لكونها حلمت عبثًا كما يقول "بأن تجمع كلّ الناس على غرار لغة الموسيقى في سجن عالميّ موحّد"، وهو هنا يؤكّد ما ألحَّ عليه مفكرون أوروبيون آخرون من أشهرهم أومبرتو إيكو Umberto Eco الذي تساءل عن إمكانية التوفيق بين الحاجة إلى لغة وحيدة في العالم والحاجة إلى الدفاع عن التقاليد اللسانيّة العريقة المتمثّلة في التعدّد اللّغوي الذي سخَّر جهده في كتابه الضخم "البحث عن لغة كاملة" لإثبات أنّ الترجمة تظلّ الأفق الوحيد للتواصل، فيقول "إنّ أوروبا – والعالم كلّه – ليس لهما من خيار، عدا خيار الردّ الإيجابي ... التعويل [فقط] على مبدأ إمكانية الترجمة".

لكنّ هاجس التعدّدية اللغويّة لدى أوست ليس أوروبيًّا محضًا كما يمكن أن يتبادر إلى الأذهان لأوّل وهلة حتّى وإنْ كان منطلقه أوروبيًّا في الأساس، فهو سرعان ما يتجاوز الإقليميّة أو القارية الجيو–سياسيّة الضيّقة إلى مجال كوني أرحب وهنا يطلق المفكر البلجيكي صيحة فزع، لعلّ صداها أقوى من الصيحات التي أطلقها غيره من الذين حشروا أنفسهم في الاختصاص الضيّق حتّى وإنْ كان هذا الاختصاص من جنس علم اللّسانيات الموكول له قبل غيره الدفاع عن التعدّديّة اللّغويّة لا لسبب إلّا لأنَّ

الرجل كما ذكرنا متعدّد الاختصاصات يتنقّل بين الفلسفة والقانون والأدب ونظريات اللّغة والترجمة، ممّا يجعل صوته يصل إلى أكثر ما يمكن من الناس المنشغلين بمصير اللّغات وتبعًا لذلك بمصير الإنسان: الحيوان الناطق دون غيره. هناك ٦٠٠٠ لغة في العالم يؤكّد أوست إحصاء عدد اللغات المتداولة في العالم والمتواضع عليه من أكثر اللّغويين، وهذا الأمر ليس جديدًا. الجديد الذي قد يعارضه فيه الصفويون الساعون إلى الحفاظ على صفاوة اللّغة من الدخيل عليها من اللغات الأخرى واللهجات العاميّة يتمثَّل في اعتقاده أنَّ الإنترنت تساهم في السنوات الأخيرة في الحفاظ على هذه اللغات وتطويرها أكثر ممّا تساهم في اندثارها ومرّة أخرى نجد الترجمة في صلب معركة الحفاظ على اللغات بما أنَّ الإنترنت التي لربَّما أصبحت تهدِّد فعليًّا الكتابة التقليدية التي عرفتها البشريّة منذ فجر تاريخها لا خيار لها إلّا الاتّكاء في ذلك على الترجمة حتّى وإنْ كانت الترجمة في الإنترنت، لاسيما الآليّة منها لا تؤدّي الغرض التواصلي المناط بعهدتها وكثيرًا ما لا تكون وفيّة على أحسن ما يكون للنصّ المترجَم.

بيد أنّ أهميّة نظريّة أوست في الترجمة تتلخّص في اعتقادنا في أطروحتين لم يسبقه فيهما أحد على حدّ علمنا، على الأقل بالوضوح والتجانس اللّذين وقفنا عليهما عنده بممارسة "الترجمة ومشهد التعدّديّة اللّغويّة والدفاع عنها" لمدّة خمس سنوات كاملة نجوب فيها هذا الكتاب ذهابًا وإيابًا وبالطول والعرض من بدايته ونهايته فقرة فقرة وفصلًا فصلًا. الأطروحة الأولى تتمثّل في وقوف أوست على طرف نقيض مع الأطروحة التي يؤكّد فيها أصحابها على أنّ بعض النصوص يستحيل ترجمتها. هنا يجهد أوست نفسه في إثبات أنّ ما لا يُترجم هو الأكثر قابليّة إلى أنْ يُترجم من غيره، فيقلب الأمور رأسًا على عقب ويخّصص فصلًا كاملًا لذلك عنونه بـ"ما يستحيل ترجمته هو شرط الترجمة" ويستشهد بهمبولدت Humboldt الذي قضى ١٥ سنة من

حياته يترجم أجاممنون Agamemnon لأخيل Eschyle ولكن هذا لم يمنعه من استهلال مقدّمة ترجمته بالقول "قصيد كهذا يستحيل ترجمته" قبل أن يضيف "هذا لن يثنينا رغم ذلك عن الترجمة" ومن ثمّة فإنّ ما يستحيل ترجمته هو ما لا ينبغي أن يتوقّف المترجم عن ترجمته، فيدحض الحجج والأحكام المسبقة التي تحصر الترجمة في دور الخادم وتحشر المترجمين في مرتبة العبيد الدونيّة الذين يكتفون بتطبيق أوامر اللّغات دون ابتكار وإبداع لافتًا الانتباه إلى حقيقة كثيرًا ما يتناساها معظم المنشغلين بالترجمة تتمثّل في أنّ عمل المؤلّف أي الكاتب الأوّل للنصّ المترجَم هو في حدّ ذاته وفي جزء كبير منه عمل مترجم وهكذا يتجلّى المترجم على عكس الاعتقاد السائد وكأنّه كاتب ثان للنصّ. ومن ثمّة لا يفوّت أوست الفرصة للإعلان صراحة عن نواياه داعيًا إلى أنّ الوقت قد حان للقيام بثورة كوبرنكيّة في اللّغة [نسبة إلى كوبرنيك] ولا يمكن لهذه الثورة، حينئذ أن تنجح ما لم تتّكئ على الترجمة التي يؤكّد على أنّها تنشط أوّلًا وبالذات في كلّ لغة قبل أن تنشط في الحدود الفاصلة بين اللّغات لينتهي تبعًا لذلك إلى ترسيخ الفكرة التالية في أذهاننا، لسنا نحن مترجمو كتابه فحسب، وإنّما كذلك في أذهان كلّ القرّاء: التعدّدية اللّغوية لا يمكن الدفاع عنها إلّا بالترجمة ولكن بترجمة جديدة إن صحّ التعبير تشتغل بأساليب جديدة لا تفضّل لغة على حساب أخرى وتؤمن أنّ كلّ اللغات مهما اختلفت منابتها وطبائعها لابدّ أن تلتقي في أكثر من معنى، بل ولابُدَّ أنْ تلتقي في كلِّ المعاني التي تكمن براعة المترجم في العثور عليها وكشفها.

أمّا الأطروحة الثانية فهي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأولى ولا تنفصل عنها بل لعلّها تستمدّ كلّ دلالتها وحيويّتها منها، فإذا كان الدفاع عن تعدّد اللّغات بالترجمة من جملة وسائل أخرى يفترض بالضرورة الدفاع عن الناطقين بها، فإنّ ذلك لن يكتب له النجاح إلّا بنوع من الالتزام الأخلاقي يعرّفه أوست فيما قلّ ودلّ من الكلام

"الاعتراف بالآخر بوصفه آخرَ ثمّ تقبله" أي الآخر بوصفه آخرَ وليس مجرّد مرآة نعكس عليها ذواتنا، آخر يتميّز بغرابته واختلافه ولكنّه معلوم الهويّة ومطابق لشخص مختلف ولكنّه مألوف إذا ما اجتهدنا في معرفته لذاته ولا لذاتنا والذي قد تُمكِّننا معرفتنا به أن نتعرَّف على جزء من ذاتنا المجهولة بالتواصل معه. الخطر كلّ الخطر يكمن في الاعتراف بالآخر عن طريق الذات وخير نموذج على ذلك كما يقول المؤلّف هو مثال كولومبس عندما حطّ بمركبه في أمريكا ولم ير في لغة الهنود الحمر مجرّد ثغثغة صبيانيّة قبل أن يتعرّف على كلمات إسبانيّة فيها يعيب عليهم عدم النطق الجيّد بها، هذا في أحسن الحالات بعد أن سبق له في مرحلة الاكتشاف الأولى من اعتبارهم أشبه ما يكون بالحيوانات لا يتكلّمون أيّ لغة، ما جعل أومبرتو إيكو يستخلص أنّ هذا أحسن مثال عن المركزيّة اللغوية والثقافيّة والأناويّة التي تحوّل الآخر انطلاقًا من الجهل فقط بلغته إلى همجيّ ومتوحّش غير قادر على التلفّظ بوضوح ونطق كلام جدير بهذا الاسم تمتزج فيه الأنا في الكون واللغة الأمّ تُقدّم على أنّها اللغة مطلقًا والعالم واحد أحد مهيّأ على قالب الذات ومفصّل حسب مقاسها.

وعلى العكس من ذلك تمامًا فإنّ الاعتراف بالآخر كآخر يجعل من الترجمة لا تقتصر على نقل "معدّات" نصّ من النصوص، أي لغة إرسال نحو لغة تلقّ، بل تبحث عن كتابة نصّ ثان بوصفه إجابة عن الأوّل وتحت مسؤولية المترجم، نصّ أصليّ ثان معَدّل وموهوب دون شكّ للأوّل ولكنّه يحمل خصائص بارزة تميّزه ودلالات جديدة من شأنها أن تثري اللغة الأصليّة ولغة الترجمة على حدّ السواء.

وعلى هذا النحو تصبح الترجمة كما يرى أوست ضيافة: أي أن يحلّ المترجم ضيفًا على لغة أخرى وتبعًا لذلك على القوم الناطقين بها، مع ما يترتّب عن ذلك من احترام آداب الضيافة. فالمترجم كما يقول وهو يفضّل استعارة الضيافة على استعارة

الوفاء التي كثيرًا ما دعا إليها منظّرو الترجمة يدعو نفسه في لغة أجنبيّة ويحلّ في الأثر الذي يتأهّب لترجمته "كي نفهم الآخر لا يجب أن نلحقه بنا ونتبعه بل أن نصبح من ضيوفه". وحتّى نصبح من ضيوفه وأهلًا لكرمه ونحن في بيته وتحت خيمته لابدّ من أن نحترم القواعد التي يُنظّم بها فعل الضيافة في لغته وثقافته.

الترجمة وهي تجعل نصب أعينها التعدّديّة الثقافيّة هي فعل لغوي بالأساس دون أدنى شكّ في ذلك ولكنّها في ذات الوقت فعل وجودي، ثقافي: تعمير للكون بأتمّ معنى الكلمة. أنْ نترجم كتابًا حول الترجمة هو أشبه ما يكون بحديث اللّغة عن اللّغة. "الكلام على الكلام صعب" كما يقول أديب العرب وفيلسوفهم أبو حيان التوحيدي في القرن الرابع للهجرة. لذلك ارتأينا أن نسخّر له خمس سنوات كاملة من عمرنا وجهدنا: واحد من زاوية اختصاصه اللغوي والثاني من زاوية اختصاصه الأنتروبولوجي عسى أن ننجح في الإلمام به واحتضانه في سائر مستوياته والانتهاء إلى ترجمته على أحسن وجه ممكن.

والله وليّ التوفيق،

د. إبراهيم بن يوسف البلوي

د. محمد بن عمار الجويلي

مقدمة: الفلك والبرج
PROLOGUE: L'ARCHE ET LA TOUR

يُسيطر على الناس هذه الأيّام، ذعر كبير، فماذا لو فتحت من جديد أبواب السماء لغرقت البشريّة عن بكرة أبيها؟ وما قيمة هذه الوعود الجسور وغير المنظورة؟ لذلك ينطلقون في تشييد بُرج كبير ذي ارتفاع عَالٍ يتجاوز جبل أرارت ذاته le mont Ararat. وانطلاقًا من تلك اللحظة لا يتوانى الرجال في رصف طوابق الهرم في أسرع وقت ممكن، وكانت أصداءُ عملهم تنتشر ويرتفع من كل مكان دُخان مصانع آجرّهم وكانت أعداد لا حصر لها من العمّال، تتداول بين وضع الآجر والقار على امتداد منحدرات صاخبة تحجبها سحب كثيفة، ورؤساء عمال شديدو المراس يحافظون على نسق العمل تحت إمرة نمرود القائد الملهم المتمكن من فنّ السيطرة والنفوذ. ومع ذلك لم يكن الجميع خاضعين؛ إذ كان البعض يقاوم التعبئة العامّة ولكن والحقّ يُقال لم تكن الثقة أبدًا لتفارقهم، إذ إنَّ هؤلاء يبحثون عن خلاصهم عبر الحركة، كانوا يرتادون الآفاق سنوياً في انتجاعات مطولة على ظهور إبلهم يصعدون الكثبان وينحدرون منها، يتفرّقون ثم يلتفون ليتفرّقوا من جديد، نذروا أنفسهم للترحال، لا شيء يمنعهم عن الحركة الدّائبة مُتحلّلين من

الأوامر والنّواهي يتخاطبون بلهجاتهم المحليّة في مرح، يغنونها بألفاظ جميلة يلتقطونها خلال رحلاتهم.

وكانوا قد حافظوا، وفاءً لذكرى الجدّ، على تصاميم الفلك الخشبيّ، وها هم يُبحرون من جديد، فما دامت الحياة قد تعذّرت على الأرض فلن يكون البديل إلّا البحر، أعماق البحر وامتداداته الشاسعة.الجزء المجهول فيه، مادام الجزء المعلوم لا يفي بالحاجة، هذا الجزء الذي يمثل فضاء الرجال الأحرار الذين تخلّصُوا من فيض قلوبهم، إنّهم الرّحالة، إنّها أوروبا المخطوفة من قبل الثور، إنّه عوليس Ulysse على متن سفينته إنّه جازون Jason وعُصبة المغامرين يبحثون دون طائل عن نثارات الذهب، إنّه إنيي Enée الذي كان يصطحبه فيرجيل Virgile ثم دانتي Dante إلى جهنم والجنّة، إنّهم الفلكيّون الذين ألقوا سنة ١٩٧٢م في فضاء النجوم، عوضاً عن حجر رشيد، شريطاً مسجّلاً في أربع عشرة لغة موجّهةً إلى شعوب أخرى في هذا الكون. وتمرّ السّنون فتمتدّ معها الآن ظلال البرج لتبلغ الشرق ولم يكن الشعب المندفع ليشفي غليله، إذ كان يقول: «هيّا لنضاعف الجهود، لننتج المزيد من الآجر ليتدفّق القار العطر، لنستكمل بأسرع ما يكون تشييد بُرجنا»، والحقّ يقال إنّه منذ مدّة طويلة، بدأ الهدف من المشروع ينسى، إلا أن البرج من الآن فصاعدًا يفرض نفسه بنفسه. كان القائد الملهم يسهر على ذلك، لا يقر بغير الأرقام المتصاعدة. وكانت تردّد في كلّ مكان الكلمات الرئيسة لهذه الفكرة المتعلقة بالحقيقة.

وكسباً للوقت واقتصاداً في طاقة العمل، تجنّبوا النزول إلى السهل ورابطُوا في أعلى الجبل ملازمين الأشغال، ولا يهمّ أولئك الذين لم يكونوا قادرين على مُجاراة النسق، وقد أخذ عددهم يتصاعد تدريجيًّا.

وكان الرُّحَّلُ قد تعوَّدوا الارتيابَ في هذا الوادي الغارق في الدّخان والظلال، يواصلون طريقهم مُبحرين عبر أحلامهم اللاّمتناهية، ينطلقون في المغامرة بحثاً عن

ذواتهم، عرضة لخطر الأجنبي مع أنّه مقيّد بشريعة الضيافة المقدّسة، تقودهم حركة الكواكب في مسيرتهم الطويلة مثل نصّ غريب جميل كتبته السّماء.

وكان صخب كثيرٌ يتعالى من خاناتهم الفرحة: خليط من البشر كان يلتقي صدفة في المخيّمات، طغمة غير منتظر تلاقيها شبيهة بتلك التي كان جمّعها الجدّ في فلكه. بشر وحيوانات إناث وذكور، شيب وشباب. جميعهم يتعايشون كيفما اتفق تعايشهم يوم الحشر le premier jour إنّها فوضى خلاقة، صيحات مرتفعة وضحكات مُتعالية، خلافات مشهودة، واكتشافات فعلية، صراخ، وحراك، وهمس،يُتلاعب بالألفاظ، تُتبادل هدايا ثمينة، تتزوّج نساء من قبائل أجنبيّة. التهجين في كل مكان، وتتواصل الحياة في هذه البؤرة الفوّارة.

ولكنّ أيّ غول سكن هذا البرج حتى يهيمن عليه صمت ثقيل قاتل؟ ومن الوحش المفترس بهذه المتاهة المدوّخة؟ لم يعد الرجال يتخاطبون بالمرّة ويكادون لا يتحرّكون، كانوا ممتقعي الوجوه أشبه بالهياكل العظمية، قيّدوا للعمل وكأنّهم محكومون بالأشغال الشاقة. البعض منهم فقط يقومون بالحركات نفسها الميكانيكيّة: يضعون آجرّة فوق الأخرى وكذلك القار وآخرون يجترّون تراتيل يبدو أنّ دلالاتها الآن قد تبخّرت. وكان خطابهم قد أضحى محنّطاً مما جعله مناجاة لا تنتهي. فهل كانوا قد فكّروا في الفرار من هذا السّجن، ولكن لم تتوفّر لهم حتى مجرّد الكلمات للتعبير عن هذه الفكرة، وقد تكون هي اللغة الوحيدة لسكان الأرض كافة ولم يعد هناك غيرُ صمت الأموات. ولم تكن الطوابق السّبعة لزقُرّتهم[1] لتبلغ بهم إلى السّماء التي وُعدُوا بها، بل على النقيض من ذلك لم يكونوا قد فعلوا غير حَفر مقبرة ولا شيء يحميهم من الغرق فيها يقول النصّ: «لقد توقّفوا عن بناء المدينة». وبعيداً عن هناك، يحدث أن ينتشي الرّحل، إثر الأمطار،

(١) الزقُرّة: برج دينيّ من عدّة طوابق في بلاد ما بين النهرين (المترجمان).

بأقواس قزح التي تُكوّنُ أحياناً فضاءهم ويحلو لهم ضمن ألوانها السبعة البرّاقة، أن يقرؤوا علامات الخطاب المقدّس المهجن. وفي هذا المساء بالذات قد استأنفوا مسيرتهم.

ثلاثة إثباتات

- لقد وُجِدت شمال العراق بمحاذاة ضفاف نهر الفرات، غير بعيد عن قرية تدعى «بابل»، وُجدت حفرة مستنقعية مُربّعة الشكل على امتداد واحد وثمانين متراً.
- يُتخَاطبُ اليوم في العالم بما يقارب ٦٠٠٠ لغة ويساهم الإنترنت في الحفاظ عليها وتطويرها أكثر ممّا يسبّب اندثارها.
- يُستعمل في اللغة العبريّة المعاصرة نفس المصطلح للتعبير عن الفلك، ومهد النبي موسى والمقرأ الذي توضع عليه لفائفُ التوراة، وهكذا جُمِعَ بين الرحلة والمغامرة التاريخية عبر البحر والتعليق اللاّنهائي على الكتاب المقدّس وهي ثلاث صيغ للترجمة تمثّل المرور من ضفة إلى أخرى، انحدارًا للتيّار انطلاقًا من منشأ النصّ إلى أوج التبادلات البينصيّة وخلق الترابط الاجتماعي ستكشف التواصل الشفوي.

تعاقُب مُهلك

لا نزال نعايش رغم تعاقب السنين، الحنين الذي يولّده ما نعتبره بمثابة «نكبة بابل»، فبمجرّد أن يتعلّق الأمر باللّغة، ومن باب أحرى التّرجمة، حتى نُحسّ وكأنّنا لا نزال مبهورين بلغة آدم قبل أن يتفرّق الخلق، رافضين الخضوع للترجمة مثلما يقول الشاعر مالارميه Mallarmé[٢] «اللّغات عاجزة في هذا الأمر».

(٢) ستيفن مالارميه Stéphane Mallarmé، شاعر فرنسي عاش في الفترة ما بين (١٨٤٢–١٨٩٨م).

وكذلك آخرون غيره والمنطقي والرّياضي ورجل الدين ورجل السّياسة جميعهم يبحثون عن اللغة المثلى.

كان ذلك نتيجة خطأ فظيع (فتح الإنسانُ سهوًا صندوق "بندورا"، فانطلق خليط لغوي مشوّش) أو نتيجة انتقام إلهي بسبب إثم ما فقد تناقل أهالي أستراليا التايسThaïs والماية Mayas روايات متناغمة[٣].

والقصة في كل الحالات تترجم انبهارًا إزاء لغة بدائية فريدة من نوعها، اللغة التي كان يتخاطب بها الله وآدم في الجنة. اللغة الحقيقية التي كانت تضمن تواصلاً شفافاً لا فضلة فيه. الكلمة التي كان قد تلفظ الإله بها لتسمية جواهر الأشياء.

وقد نشأت عن هذه القصة المؤسِّسة الكثير من التصوّرات التي تشكّل، مجتمعة، ما يمكن أن نُسمّيه «المعنى اللغوي المشترك» وهو نوعٌ من ترجمة متداخلة للأيديولوجيا وتمثيلٌ سيّء للميتافيزيقا، هي المسؤولة عن تأويلات عديدة سيئة للغة والكتاب المقدس والترجمة، لذلك نحن مطالبون اليوم أيضاً بحل المعضلة التالية: إما اللّغة الأصل أو الانكفاء على اللغات الفردية الخاصة، إما أن نتبنى لغة عامة مشتركة (تدعمها الفاعلية والعقلانية) أو الانكفاء على لغة قوميّة (تدعمها مكانتها وذاتيتُها) ولكنّ هذا خيارٌ هدّامُ إذ يُكرّس رفض التبادل ويقود بشكل مبيت نحو التقليص من إمكانات المدلوليّة. ولحسن الحظّ فإنّ هذا السيناريو مُغالط لأنّ التجربة تُعلّمنا أنّ كلّ لغة وحيدة لا تفتأ أن تتحوّل إلى لغة مشوّشة وهو، على ما يبدو مظهر من مظاهر إكراهات وُجودنا اللّغوي الذي يفرض علينا تنوّعا في خطاباتنا (فبقدر ما تكبر قدرتنا على التّجريد تتّجهُ لغاتنا نحو التخصّص) فهنالك في ذات الوقت قدرة لغوية مشتركة

(٣) ياڤلو، *اللغات الوهمية*، باريس، سوي، ٢٠٠٦م، ص ٣٣. شتاينر، *ما بعد بابل إنشائية الكلام والترجمة*، ترجمة لوترينجر، باريس، ألبان ميشيل، ١٩٧٨م، ص ٦٥.

(كفاءة عامة في الخطاب) وتعدّدية لغوية لا مفرّ منها.فـ«شرط التّشظّي اللغوي» هو نقطة البداية في أيّ تفكير جدّي في اللّغة، ولكن مثلما يقول بول ريكور «إنّ غياب لغة أسمى لا يوقعنا في العجز المطلق: إذ يبقى لنا معين الترجمة»(٤). وهو موضوع هذا الكتاب الذي يتصدّى بنسقيّة وعن قناعة للدفاع عن الترجمة وعن التعدّدية اللغويّة ونشرها. وليس ذلك باعتباره قدرًا ينبغي الخضوع له مثلما نصبر على الألم الذي يصيبنا، وإنّما كمواصلة للطريق الذي لم نكن قد توقفنا قط عن السير فيه، كلّما بدت منا مقدرة على الانفتاح والحرية والإبداع. فالتعدّدية اللّغويّة هي فرصة تُتاح لنا، هي مناسبة لإغناء مفهومنا عن الكونيّ.

فالترجمة بعيدًا عن أن تكون مجرّد تقنية في خدمة التواصل، يمكن أن تكون النموذج الذي يحتاجه عالمنا ليعمّ التفاهم بيننا فنعالج أكثر التحديات أهميّة.

نموذج جديد

إذا كان العالم المعاصر يتمثل ذاته ويتجسّد في شكل شبكة وحيدة أو عدّة شبكات، وإنّه منذ ما اصطلح على تسميته بـ«المنعرج اللغوي» صار يفهم أكثر فأكثر ضمن مصطلحات مرتبطة بذرائعيّة اللّغة، فإنّه من المتوقّع أنّ فكرة شبكات التّواصل تفرض نفسها نموذجًا مُهيمنًا للعلوم الاجتماعية (بما في ذلك علم الأخلاق وكذلك الأخلاقيات التواصلية)، ولكن من الواضح أن نموذج التواصل هذا يستعير الكثير من افتراضاته من الترجمة المقدسة Vulgate ما قبل البابليّة للغة المكتملة. الناس يتحدثّون ليتبادلوا معلومات وحقائق، فاللغة تتشكّل من كلمات يحدّد المعجم معناها. وهذا المعنى يُحيلُ على شيء ما أو فكرة ما موجودة بعدُ. فالمتقبّل يتلقى الرّسالة من

(٤) بول ريكور، *الشموليّ والتاريخي*، ورد في *العادل le juste*، سلسلة Esprit، ٢٠٠١م، ص ٢٨٢.

الباثّ ويتفاعل معه تبعا لها ... إلخ. فالإثباتات ذات الإشكاليات القصوى، بما في ذلك الساذجة، قد توطّدت بشكل واسع.

ويبدو أنّ الوقت قد حان للقيام بـ«ثورة كوبرنيكية» فيما يتعلّق باللغة، وملاحظة التراجع في النموذج التواصلي في اتّجاه نموذج الترجمة. وهذا الكتاب يسعى إلى التأكيد على أهمّية نموذج الترجمة وعلى تعميقه، ولكن بسبب شدّة جمود النموذج التواصلي وهيمنته وتجذّره في الفانتزمات البابلية Babeliens وارتباطه بعدّة مصالح اقتصاديّة وسياسية قويّة (الخطاب الوحيد للإعلانات والإشهار). بسبَبِ كلّ ذلك فإن المراهنة على التعدّدية اللّغويّة وعلى الترجمة يكتسي غالبًا طابعًا سجاليًّا مثلما يلاحظ ذلك دائـمًا في إطار الصراعات بين النماذج المتنافسة وهو ما يجعلنا مطالبين، منذ البداية، بِتبنّي جملة من الحقائق الغريبة التي ستكون بمثابة الخيط الأحمر، لهذا المؤلف وعلامة اعتراف العابرين من الفلك في مواجهة ساكني البرج. وها نحن نعرض هنا دون أيّ احتياط قائمة غير مكتملة:

- تُورد قصة بابل (سفر التكوين XI)حدثًا سعيدًا. والتعدّدية اللّغويّة نعمة.
- اللغات الطبيعيّة أكثر كونيّة بكثير ممّا يُدعى اللّغات المكتملة التي تدّعي إلغاء بابل.
- الترجمة تتحرّك أوّلاً وبالذات في صلب كل لغة من اللغات قبل أن تشتغل في الحدود الفاصلة بينهما.
- ما يستحيل ترجمته يمثل شرط إمكان الترجمة، وليس سبب إخفاقها، وكذلك نحن لا نقارن في الحقيقة إلّا ما تستحيل مقارنته.
- الترجمة تأليف بأتم معنى الكلمة لأنّ الأصل ذاته هو من الدرجة الثانية.
- نحن لا نتكلم أساسًا لنتواصل وبقدر أقل لنُبلغ معلومات صحيحة.

- وإذا كان من الصّواب التسليم باستحالة الترجمة الكاملة فيُضْحِي الإبداعُ حينئذ علامة الترجمات الأمينة.
- لغة أوروبا هي الترجمة فالتعدّدية اللّغويّة رَافد بالنسبة لأوروبا وليس عائقًا.
- الترجمة تنفتح أخلاقيًّا على «الأنا كما لو أنّها الآخر» وليس على الآخر، كما لو أنّه الأنا الآخر Alter ego. وهكذا تحمي ذاتها من انحرافاتها التي تستوعبها وتُهيمن عليها.

نحن لا نعرض هذه المفارقات العشر رغبة في الاستفزاز، بل إنّها قد فرضت نفسها علينا واحدة إثر الأخرى كلّما تعمقّنا في وجه مُغاير من أوجه مسألة اللغات والتعدّدية اللّغويّة. فقد تبيّن لنا تدريجيًّا أن هذه المفارقات متكاتفة أيما تكاتف، تشكّل نسقًا، تمامًا مثل الأفكار الخاطئة لترجمة الكتاب المقدّس اللاتينية التي تُقوّضها. فأبعادُها التي تكون تارة لغويّة أو منهجيّة أو أخلاقية أو سياسية تتجاوب وتتعاضد مثلما بيّن ذلك تماماً «توماس كوهن (Thomas Kuhn)» فيما يتعلّق بالنماذج عامّة. إنّ الأمر يخصّ في النهاية رسم وضعيتين مُتقابلتين في اللغة وتبعًا لذلك أيضًا في الحياة.

مسار مُتناظم

إنّ صياغة النموذج الترجمي هي ثمرة مسار متناظم شاق تجسّد هنا في سبعة أبواب وأحد عشر فصلاً. يبحث الباب الأول المعنون بـ«بابل» في الأسس الخياليّة لمسألتنا ممحّصين بشكل معمّق آيات التوراة السبع من بين التي شملتها طبعًا أكثر التعليقات، وكذلك من بين التي أُسِيءَ فهمها في الكتاب المقدّس. فقد أخضع الفصل الأوّل هذا النص لتأويل مدقّق وعرض للتأويلات المتعدّدة والقراءات الثواني التي استهدفته. وفي المقابل يبحث الفصل الثاني في الروايات العديدة للحلم اللغوي الكبير

للإنسانية الذي لم ينفك يدعي نفي الصدمة البابلية بإبداعه أو اكتشافه ثانية لغة مكتملة تعبر للجميع عن جوهر الأشياء.

ويُتيح الباب الثاني (الفصلان الثالث والرابع) فرصة الانكباب على مسألة التعريفات فهل يُمكنُ أن نكتفي باعتبار التّرجمة مجرّد التعبير عن الشيء نفسه في كلمات مُغايرة؟ ليس الأمرُ بهذه البساطة لاسيما بعد أن أفادنا تاريخ الترجمة أن القاسم المشترك بين مجرّد النّسخ والترجمة والتصرّف فيه شيءٌ من التذبذب، لاسيما عندما تُؤكّد جيّدًا فلسفة اللغة أنّ الترجمة قبل أن تتحرّك على التخوم الخارجيّة للغة تشتغل على أدق تفاصيل خطاباتنا من الدّاخل. وهكذا تكتسي إذن إشكاليّتُنا أهمّية مؤكّدة في نفس أهمّية رحابة لغتنا ذاتها. وفي هذا الموضع بالذات نستشعر، كأشدّ ما يكون، ثقل الترجمة اللاّتينية للكتاب المقدّس التي تُضاعف الاعتراضات في خصوص التعدّدية اللّغويّة والحطّ من قيمة الترجمة.

وخُصّص الباب الثالث (الفصول الخامس والسادس والسابع) لتدحض قطعيًّا ما يمكن أن نسميه، مع باشلار، العوائق الإبيستيمولوجية (وهي أفكارٌ مغلوطةٌ أفرزتها نظرية مهدّدة في وُجودها حفاظًا على سلطتها التفسيرية).

نسعى في مواجهة الفكرة الشائعة جدًّا أنّ الترجمة منذورة حتـمًا للفشل لأنّ الجوهري (في الأدب ولاسيما الشعر) يستحيل ترجمته، نسعى إلى إثبات أنّ هذا المحور الذي يستحيل ترجمته هو الذي يميّز بالذات الكلام الأصيل ويدفع بمسار الترجمة (التكرّر يمثل الكلام).

ونحن نذكر اعتراضًا على الحكم المسبق الذي يحصر الترجمة في دور الخادم (درجة ثانية، درجة دنيا). وينفي عن المترجمين كياناتهم المستقلّة، بل هو يسخر منهم، نذكر اقتداء ببروست ولاسيما بورخس أن عمل المؤلّف – الكاتب الأوّل – هو ذاته،

في جزء كبير منه، عملٌ مُترجم، وهكذا يتجلّى المترجم على العكس من ذلك وكأنّه كاتب ثانٍ للنصّ.

وأخيرًا نحن نُجنّد، في مواجهة مفهوم اللغة، القديم قِدم كراتيل Cratyle أفلاطون الذي لا يرى فيها غير جرد للكلمات يتكفّل المعجم بربط علاقتها بالواقع (الأشياء الموجودة بعد أو الأفكار الأوليّة). وفي مواجهة هذا الحصر المعجمي وانمساخه الترجمي (بالاعتماد على لغة ثالثة مُفترضة تكون بمثابة المعيار لترجمة مختلف اللغات الأخرى)، نجد في مواجهة كل ذلك بعض أكثر المكتسبات أهمية لفلسفة اللغة واللسانيات والسّيميولوجيا والمعجميّة. وسيفنّد تباعًا كلّ من مرلوبونتي Marleau Ponty وبنفينيست Benveniste وكين Quine وفيتنغشتين Wittegenstein وإيكو Eco وآلان راي Alain Rey، هذا المفهوم المخلّ لفائدة لغة منطوقة مبدعة لا يمكن تقليصها.

وهكذا عُبِّدت الطريق أخيرًا إلى الترجمة، فأضحى بالإمكان ولوج ورشة المترجم (الفصل الثامن) والانكباب على مناهج عمله (الباب الرابع للمسار) وما فتئنا منذ سيسرون Ciseron نتساءل ماذا نخْتار بين الكلمة والمعنى وبين التقليد والإسهاب؟ هل نكون بالتّعبير المعاصر أهل المصدر Sourciers أو أهل الهدف Ciblistes، وإذا كانت اللّغتان المتواجهتان ثقافيًّا لا تتوقفان عن النموّ وأنّ معجميهما وكذلك دائرة معارفهما لا يلتقيان أبدًا فما هو المعنى الذي يُمكن أن يكتسيَه الشرط التقليدي لوجوب التقيّد بالترجمة الأمينة؟

فبعد كل منميشونيك Meschonnic وبونفوا Bonnefoy ودريدا Derrida وبنجمين Benjamin، قد نُجازفُ بإعادة صياغة فكرة الأمانة باعتماد المسؤولية وحُسن الاستقبال، وفي مستوى تقييم المواهب نُعلي من شأن التّرجمات التي ترفع التحدّي، وهي التي لا ترضى بمجّرد نقل العمل، وإنّما تضمن له قيمة مُضافة.

وعلى مستوى هذا الخطّ، هنالك اختيارٌ يفرض نفسه، إمّا أن نُواصل السّير في الطريق النظري الذي فتحه البعض لاسيما بنجمين Benjamin وكتابه ذائع الصّيت «عمل المترجم» إلى حدّ الانغماس في نشوة ما يمكن أن نُطلق عليه اللغة الصافية التي توجد في المسافة التي تنفتحُ بين كلّ اللغات وهو اختيارٌ نتجنّبه (حيث نلمحُ فيه عودة المكبوت البابليّ) ونتبنّى حتماً خيار التعدّدية اللغويّة وما يَنتُجُ عنه، وكذلك الترجمة رغم نقائصها الحتميّة.

إنّ هذا الخيار الثاني الذي بادر بتبنّيه خاصة أنطوان بنجامين ذو طبيعة أخلاقيّة وهو موضوع الباب الخامس، نُعوّض فَقْدَ المثل الضائعة بملذّات حُسن الاستقبال اللّغوي بالنّسبة إلى التّرجمات التي تعرفُ كيف تتقبّل الآخر باعتباره آخر. فلنلاحظ تمزّق العالم المعاصر بين «مناطق العدالة» لولزار Walzer أو «الحواضر الستّ» لبولتنسكي Boltanski وتيفينو Thévenot، وهي عوالم مجرّدة من الميتامبادئ التحكيميّة. هذا الخيار يقترحُ المنهج التّرجمي بديلاً وحيدًا في مواجهة اللاتفاهم والعنف. وهكذا تكونُ «الحاضرة السابعة»، هي الترجمة (الفصل التاسع). وفي غياب اتّفاق شامل مُتعذّر في المستقبل المنظور، ينبغي الصبر على اعتماد حوار ترجمي نستشعر فيه، في أفضل الحالات، الطرق المؤديّة إلى وضع سياقي جمعي متكرّر.

وإذا صحّ أنّ الترجمة تكون داخل كل لغة (وداخل كل قول فرديّ) فهي إذن تتعامل مع «الأنا» وكأنّها آخر، وليس فقط مع الآخر وكأنّه «أنا» ثانية، (وهي مُقاربة «سخية» لا تستثني مع ذلك تمامًا خطر التّرجمة الإلحاقية).

ونمرّ حتمًا من الأخلاق إلى السياسة، وهو ما يؤلّفُ الباب السادس (الفصل العاشر) وتظهر اللغة دائمًا رهانًا ذا تأثير جوهريّ، فهي تمثّل مكوّنًا محوريًّا في الإحساس بالهوية الوطنيّة، وتمثّل حجر زاوية حسّاسة فيما يتعلّق بحماية الأقلّيات.

وهذه المقاربة السّريعة للثلاث عشرة حالة أبانت الطرق المختلفة جدًّا التي تعتمدها الدول في معالجة مسألة اللغات والتّعددية اللغويّة التي تفرضُ نفسها عمليًّا، على الأقلّ بشكل شامل تقريبًا. فمن أحادية اللغة المصفاة في تركيا أتاتورك (حيث تُمثل علاقة فرنسا بالغريغوريّة أحسن إرهاص بذلك) إلى التعدّدية اللغويّة المتكافئة التي اضطلع بها بشكل نشيط الاتّحاد الفيدرالي السويسري تبدُو الأوضاع جدّ متنوّعة، ولكن لا تتخلى أية دولة عن التدخّل في إشكاليّتها اللّغوية. أمّا في خُصوص الاتّحاد الأوروبي فهل يستطيعُ المحافظة على التعدّدية اللغويّة التي يُطالب بها، منذ نشأته، والصموّد تجاه خطر «الكل للإنجليزيّة؟». نحن نُدافع بشدّة في هذا الاتّجاه اعتمادًا على حُجج ثقافية وعلى اعتبارات اقتصاديّة وعلى تجاربَ مُستقاةٍ من الممارسات في البحوث العلميّة.

أمّا الباب الأخير (الفصل الحادي عشر) الذي هو بمنزلة الحوصلة (تستدعي حتمًا تحاليلَ أخرى جوهرية) فإنّها تُبرزُ كيف أنّ الترجمة، كما حُلّلت في هذا المؤلَّف، يُمكن لها أن تدّعيَ القيام بدور النموذج في معناه المعقّد كما يفهمه «تُوماس كوهن»، فالعديد من القطاعات الهامّة المرتبطة بالتّفكير والتّطبيق تستعدّ كأحسن ما يكون الاستعداد لهذه المقاربة الترجميّة. إذ يُستعرض تِباعًا الحوارُ المستوجَب بين مُختلف العلوم وتحدّيات الحكم (بحثًا عن لغة مشتركة بين الخبراء العلميين، الناطق الرسمي باسم المجتمع المدني، والمندوبين السياسيين) والفلسفة السياسية (الممزقة بين المقاربة الشموليّة «لليبراليين» واللّغات «المتموقعة» للاتحاديين Communautariens) وحوار الأديان (مفترضًا، نتيجة فهم ذاتي قبل كلّ شيء، اتخاذ مسافة تجاه أيّة قراءة أصوليّة لتقاليدهم الخاصة) وأخيرًا الميدان القانونيّ وهو الأقرب إلينا، تحدثُ فيه تطوّرات أكثر أهمّية فهو بامتياز، حقل انتقاد فيما يتعلّق بالنّموذج التّرجمي. فكلّ تطبيق من هذه

التّطبيقات للنموذج في ميدان محدّد هو مناسبة لعودة مُتكرّرة إلى مقدّماتها المنطقيّة التي يتمّ إغناؤها وتتعقّد بفضل هذه التنفيذات المتعدّدة.

التفكير المشترك في اللغة والترجمة

فلنحوصل: انطلاقًا من بديل بابل عبر المجدي (إمّا اللغة الوحيدة أو الانكفاء على اللّغات الفرديّة) نستشرف بروز نموذج التّرجمة المرتبط بعالم يُفهم عبر مصطلحات شبكيّة تواصليّة. هذا النموذج سنكشف عن أسسه الخيالية ومنعطفاته التاريخيّة وحدوده المفاهيميّة وفرضيّاته اللّسانيّة، ونستخرج منها المتطلّبات المنهجيّة والاستتباعات الأخلاقية، ثم نُحدِّدُ أخيرًا الشروط السياسيّة المستوجبة لتنفيذه.

لم يتبلور هذا النموذج إلا بفضل تفكير جَمَعَ للوهلة الأولى، وبالشكل الأكثر حميميّة، بين اللغة والترجمة، فكر اللغة وفكر الترجمة. وبهذا الشرط وحده نكُفّ عن اعتبار الترجمة مجرّد مسألة تقنية خاضعة لوصفات مرتبطة بعلم الترجمة التّطبيقيّة Traductologie ونكفّ عن اعتبار اللغة جردًا إحصائيًّا بسيطًا. يطمح هذا الكتاب إذن، مثلما يؤكّد ذلك تشابك فُصوله المختلفة، إلى الوصل بشكل حاسم بين مسألة اللّغات ومسألة الترجمة.

أوّلًا، للسبب المعروف جدًّا المتعلّق بالتعدّدية اللغويّة الغزيرة في العالم والتعّددية اللّغويّة الموجودة فعليًّا في الأغلبية السّاحقة للدول والتي تجعل الترجمة البرهان الأمثل في التواصل بين المجموعات البشرية.

ثانيًا، لأن الترجمة تفرض نفسها كشرط للتّواصل مع التقاليد والترابط الاجتماعي بين اللهجات المتخصّصة لمختلف القطاعات الاجتماعية (علوم، اقتصاد، وسائل إعلام، فنون...) وكذلك بين مختلف الطبقات Strates التاريخية

للّغة (فكيف يكون حالُ مجتمع عاجز عن التعامل مع ما فيه ومنحصر في بوتقة لهجاته المتخصّصة؟) وأخيرًا وبشكل خاصّ لأنّ أيّ جزء من اللغة وأيّ قسم من خطاب وأيّ مقطع من نصّ وأيّ خلاصة من قول، كلّها وفي جميع الحالات مدينة للتّرجمة (نحن لا نتكلّم أبدًا بمنتهى الوضوح) ومفتوحة عليها (حين نتحدّث إلى أحد، بدءًا بأنفسنا، لا نضمن أن نفهم)، فالتعدّد والخلط البابليّان Babéliennes لا يقفان إذن عند الحدود الخارجيّة للّغة بل يشتغلان عليها في مستوياتها الحميميّة، وبذلك نتبيّن أنّ لغاتنا ليست أبدًا معطيات بسيطة (يؤكدّها المعجم) أو أحداثًا طبيعيّة بسيطة (يضبطها النحو) أو إنتاجات نهائيّة تفصلها حدود عازلة، وإنّما تخترقها شبكات دلاليّة عابرة للحدود وتأثيرات مُتولّدة عن المعنى هي من نتاج التاريخ والثقافة تُعيد تنظيمها وتغنيها، إنّها سيرورات حيّة تعبرُها توتّرات مُتعدّدة تُزركشها تعاضلات مُثقلة بتفسيرات خاطئة وتخمينات، ولكنّها قادرة أيضًا على الإبداع والمباعدات والدّعابة، فاللغات وإن كانت هشّة وقويّة مثل الحياة نفسها، تُفْرِقُ أحيانًا وتصمد بتناسلها وتنطفئ وتضمحلّ أحيانًا أخرى حين تُضحي غير مُتكلّم بها. وفي كلّ الحالات فإنّ الترجمة هي التي تُمكّن من تطويرها.

ولكنّ هذه الرابطة (العلاقة) بين اللّغة والتّرجمة ينبغي أن يُفكّر فيها في المجال السياسيّ، فنحنُ على يقين مثل كلود حجاج وآخرين بأنّ الصراع في سبيل تنمية اللغة الفرنسية هي أولويّة قصوى ولكنّ هذا الصراع الشرعيّ، باستثناء أن يتّخذ وجهة أخرى، ليس له هو ذاته من دلالة، مثلما يُوضّح ذلك حجاج، إلّا إذا كان ضمن أوسع تنمية للتنوّع اللغوي. والهام هو أن يُواصل العالم التّفكير في ذاته والتّعبير عن ذاته في لغات عديدة دون أن تنحصر اللغات أبدًا في وظيفتها الخدماتيّة فحسب. ولكن الدفاع عن التعدّدية اللغويّة، ولاسيما في صُلب مؤسّسات الحكم في

العالم، وفي الوسائط الحديثة مثل الإنترنت، يعني وضع مسألة الترجمة في صُلب الاختيارات السياسيّة. ينبغي إذن إيلاء الترجمة المكانة السياسيّة التي تستحقّها واقتراح نظريّة في مستوى رهاناتها الحقيقيّة والنهوض في صلب جامعاتنا، بتكوين المترجمين ومنحهم اعتبارًا وتشريعًا يتلاءَمان أكثر مع مسؤوليّاتهم، وكذلك تصوّر سياسات طموحة في التّرجمة وتمويلها سواء في مستوى تقبّل الأعمال الأجنبيّة أو تعزيز حضور الأعمال الوطنية في الخارج.

ولكن يتحتّم في هذا السياق التزام اليقظة وينبغي أن تتواصل الروابط بين سياسة الترجمة والتفكير في اللغة، لأنّ مشروع الترجمة، حتى وإن صدقت فيه النّوايا ومُوِّل بسخاء يمكن أن تُصيبهُ عدوى النّموذج التّواصلي والفانتازما البابليّة للتّقوقع في اللغة الوحيدة وهو ما يتجلّى خاصة في برامج الترجمة الآليّة مثل سيستران التي أعدّت انطلاقاً من صيغة إنجليزية جدّ مبسّطة (قلوبيش) أسندت إليها وظيفة اللغة الثالثة، وهو ما تولّدت عنه نتائج لافتة مثل ذلك التمرين الممتع والشتائمي في آن الذي تبنّته «باربارا كاسّين» مستخدمة «ڤوڤل، أدوات لسانيّة» عارضة عليه هذه الجملة لترجمتها إلى الألمانية «والله خلق الإنسان على صورته» متنقّلة بين اللغتين الفرنسيّة والألمانية أربع مرّات فكان أن اقترح ڤوڤل «والإنسان خلق الإله على شاكلته»[٥].

وها هو البرج يعود من جديد.

من سوء التفاهم!

انطلق عصر الترجمة!

(٥) باربارا كاسيّن، *أنا وڤوڤل البعثة الأمريكية الثانية*، باريس، دار ألبان ميشال، ٢٠٠٧م، ص ٢٣٧.

شكر وتقدير

يعد الكتاب – مثلما هو معتادٌ – ثمرة بحوث شخصيّة ولقاءات ونقاشات ومحفّزات خارجيّة. وقد كان الدافع في البداية دعوة تلقيتُها من الأستاذ «جان جاك سيور» من كلية الحقوق في جامعة تولون لإلقاء كلمة في ندوة رائقة كان قد نظمها بعنوان الترجمة القانونيّة صدرت عن دار بريلان سنة ٢٠٠٨م تحت عنوان «التأويل والترجمة» ثم حظيتُ بأن أسنِدَ إلي في ربيع ٢٠٠٦م "كرسي فرانكي" تبعًا لدعوة من كلّيتي الفلسفة واللاهوت بمدينة لوفان واخترتُ أن أخصّص الدروس الستة لمبحث الترجمة. وهكذا اتّخذ المشروعُ أهميّة بالغة واتّجه نحو تأليف كتاب كامل. وترسّخت الفكرةُ نهائيًّا بعد الدعوة التي تلقيتها من الأستاذ ميراي دالماس مارتي لإلقاء درسين حول هذا المحور بمعهد فرنسا، وأتاحت لي عدّة محاضرات ألقيتُها خلال عام ٢٠٠٧م مُتابعة أبحاثي والاستفادة من النقاشات الثمينة، في جانفي بالأكاديمية الملكية البلجيكية، وفي أكتوبر بجامعة لوزان في إطار ندوة نظّمها الأستاذ «أيت هايدمان» حول محور الترجمة والمخيال الأوروبي وفي أكتوبر أيضًا بجامعتي الأصلية حول محور القانون، الحكم والتّنمية المستدامة كيف نترجم مسؤولياتنا؟ وفي ربيع عام ٢٠٠٨م أتيحت لي الفرصة كذلك، تبعًا لدعوة من فلورنس ريشتر، لتطوير أفكاري حول الترجمات في أوروبا في إطار عدد جيّد من مجلة «قراءات» ضمن ملف بعنوان «أوروبا والمكتبات العمومية» وأخيرًا فقد استفدتُ خلال أربع السنوات من العمل المكثف، من الدعم المتواصل لمؤتمرين بحثيّين نظمتهما جامعتي وهما: المؤتمر المتعدّد الاختصاصات للدراسات القانونية الذي يبحث، بدعم كامل للبحوث الجماعية الأساسية، مسألة الترجمة في علاقتها بسنّ القوانين الأوروبية (وهنا أشكر بشكل خاص، أُنطوان بايّو وميشال فان من

كيرشوف) والمؤتمر المتعدّد الاختصاصات للدراسات الأدبية الذي يشتغل على «الترجمة والخرافة» (وهنا أيضًا أشكر صوفي كليميس وإيزابيل أوست ولوران فان إيند وستيفاني فانستان) وكما لا يفوتني أن أعبّر عن عرفاني بالجميل لعديد الزملاء الذين يعدّون أبحاث الدكتوراه، والطلبة الذين أشاروا عليّ بمراجع جدّ مفيدة معوّضين بذلك نُدرة الوقت الذي يُمكن أن أقضّيه في المكتبة. فقد كان من الممكن دون شكّ إذا ما انعزلتُ في جزيرة مهجورة، أن يتوفّر لي وقتٌ أكثر وهدوء أوفر لتأليف هذا الكتاب. ولكنّ هذا الحلم في نفس وهميّة حلم البرج: فقد كان يمكن ألاّ يرى الكتابُ النور، وأنا أعيش في مثل هذه الظروف، محرومًا من كلّ هذه المدعّمات الترجميّة.

وفي الختام أوجّه شكري أيضًا إلى باربارا كاسّين وإلى آلانباديو اللذين وفّرا لي حُسن الضيافة، وهي فضيلة ترجمية بامتياز بإصدار الكتاب في سلسلتهم الرائعة في منشورات "فايّار".

مونت إيكسوفري، ١٦ يوليو ٢٠٠٨م

المحتويات

مقدمة المترجمَيْن ..... هـ
مقدمة: الفلك والبرج ..... س

الباب الأول: بابل

الفصل الأول: بابل محكية: الأسطورة المؤسسة ٣
تحديد سردية النصّ ٦
١ – خطأ في القراءة ٦
٢ – شعرية الأفكار ٩
٣ – بنية معقدة ١٠
٤ – هناك خمسُ ترجمات ١٣
تسعُ آيات ١٧
تأويلات الأسطورة ٢٨
١ – تأطير تاريخي ٢٨

٢- خوف وعنف ٣١
٣- أيّ ذنب وأي عقاب..... ٣٣
٤- عدم الاكتمال، الافتراق والنسيان ٣٧
٥- هبةُ الاسم ٤٢
قراءات جديدة ٤٥
١- أساطير تلموديّة ٤٥
٢- قراءات مسيحيّة..... ٤٦
٣- قراءات مدنية ٤٨
وعيدُ العنصرة؟ ٥٥

الفصل الثاني: بابل ملغاة: لغات مكتملة ولغات أخرى خيالية ٦١
اللّغات المكتملة ٦٣
١- لغات وقوانين مقدسة ٦٦
٢- اللغات والقوانين العقلانية القبلية ٧٠
٣- الاحتجاج القومي: تعدّدية اللغات والقوانين ٨١
٤- اللغات والقوانين التأليفية الاستدلالية ٨٤
لغات متخيلة أخرى..... ٨٨
١- لغات خاصّة ٨٨
٢- لغات طوباويّة ٨٩
٣- لغة الملائكة ٩٤
٤- لغات الخيال العلمي ٩٧

٥- لغات كليانية ٩٩
نقد ١٠٠
١- لغات طبيعيّة ١٠٠
٢- لغات كونيّة ١٠٢
٣- لغات؟ ١٠٥

الباب الثاني: التعاريف

الفصل الثالث: بعبارة أخرى: ماذا يعني أن نترجم ١١٣
أن نقول الشيء نفسه في كلمات مغايرة؟ ١١٣
معالم في تاريخ التّرجمة ١١٨
١- اللاّمفكّر فيه إغريقيًّا فيما يتعلّق بالترجمة ١١٨
٢- الترجمات المهيمنة لروما ١٢٠
٣- الترجمات الوثنيّة المسيحيّة ١٢٢
٤- المنعرج العربي والتّرجمات الأولى للّغة العامّية ١٢٤
٥- الرومنطقيّة الألمانيّة وسيرورة التحوّل الثقافي ١٢٨
٦- الترجمات المعاصرة ١٣١
الحقل الدلالي للترجمة ١٣١
١- المستوى العميق لما قبل الفهم والمستوى العملي للفهم ١٣٢
٢- الاستنساخ ١٣٤
٣- الترجمة ١٣٤
٤- الإنجاز ١٣٥

٥- التصرف ١٣٦
٦- المعارضة ١٣٨
٧- الترجمة والنظريات الثقافية للتقبل، النقل، المقارنة، الرواية ١٣٩
٨- التأليف ١٤٠

الفصل الرابع: الترجمة: داخلية أولًا وقبل كل شيء ١٤٣
التأويلية: الترجمة موجودة بعد دائـمًا ١٤٦
تاريخيّة اللغات ١٥٠
اللغة الواصفة أو القدرة على التفسير الذاتي ١٥٤
اللاّوعي: الأنا هو آخرُ ١٥٧
سجلاّت اللغة، أنواع الخطابات والخلافات ١٥٨
الشعر: إعطاء معنى أكثر صفاءً لكلمات القبيلة ١٦٣
أخلاق: الذّات مثل آخر ١٦٦

الباب الثالث: التفنيدات

الفصل الخامس: الاعتراض الاستباقي: «استحالة ترجمته»... قلت «يستحيل ترجمته»؟ ١٧٣
تفنيدات أولى ١٧٦
الأسباب المزعومة لاستحالة الترجمة ١٧٩
تحدّي استحالة الترجمة ١٨٠
١- هل تحدد اللغة الفكرة؟ ١٨١
رهان إمكانية الترجمة ١٨٤

١- حجّة نظريّة ١٨٤
٢- طبيعة الحوار المتطوّرة..... ١٨٧
٣- ما يستخلص من ممارسة الترجمة..... ١٨٩
٤- لسانيّون كونيون..... ١٩١
٥- لا عتمة ولا شفافية..... ١٩٣
٦- أنتولوجيا أو لوغولوجيا..... ١٩٤
٧- ما يستحيل ترجمته شرط الترجمة..... ١٩٦

الفصل السادس: دورٌ ثانٍ، دور صانع مبتدئ. جرح الخادَمية ١٩٩
واجب الكاتب ومهمّته هما واجب المترجم ومهمّته..... ٢٠٠
جماعة المترجمين ٢٠٥
ما يشبه الترجمة، الترجمة الذّاتية. الترجمة الاسترجاعية ٢٠٧
أصل يتكرّر وأصل يستنسخ ويتوالد ٢١١
مسألة درجات ٢١٣

الفصل السابع: الاختصار المعجمي ٢١٧
ترجمة لاتينية للإنجيل مستوحاة من الكراتيل Cratyle ومن سفر التكوين ٢١٩
مناقشة الترجمة اللاّتينية للإنجيل ٢٢٥
مارلو-بونتي: انتظام الخطاب الناطق وتعبيريته..... ٢٢٨
بنفينيست: الكلمة بين سيمائية العلامة وعلم معاني الجمل..... ٢٣٢
كوين: التباس الترجمة..... ٢٣٤

فيتغنشتين: لعبات الكلام وأشكال الحياة.....٢٣٨
فاصل: معهد جليفر Gulliver للّسانيات.....٢٤١
إيكو: قاموس وموسوعة معادلة وتفسيرويّة.....٢٤٢
الأورتولوجيا وكره اللغة.....٢٤٩

الباب الرابع: المناهج

الفصل الثامن: في ورشة المترجم.....٢٥٩
بين إعادة للكلام بإسهاب والتقليد: أي أمانة؟.....٢٦٢
١- المعكوسية.....٢٦٤
٢- إيقاع.....٢٦٦
٣- نظريات القراءة.....٢٦٧
أهل المصدر وأهل الهدف.....٢٧٠
١- هدف أم مصب؟ الترجمات والزّمن.....٢٧٢
٢- حجج "هادفة".....٢٧٤
٣- حجج منبعية.....٢٧٥
٤- أن نكتب كما كان يمكن أن يفعل إخيل ذاته في ألمانيّة اليوم؟.....٢٧٧
٥- غريب، غرابة، غربوية.....٢٧٩
وزنة، مفاوضة، مقارنة، إبعاد.....٢٨٢
١- وزنة.....٢٨٢
٢- مفاوضة.....٢٨٣
٣- مقارنة.....٢٨٥

٤- إبعاد ٢٩٣
الترجمات المنعشة، هل المسألة مسألة وفاء أو فائض قيمة؟ ٢٩٩
١- رمزية التالانات ٣٠٠
٢- هنري ميشونيك والمطّرد من الكلام ٣٠٢
٣- لعبة ذات حاصل إيجابي ٣٠٤
٤- جاك درّيدا والتّرجمات المنعشة ٣٠٦
مهمّة المترجم (أو انسحابه)؟ ٣٠٨
تحذيرات ٣١٣
١- الحلم البابليّ من جديد ٣١٤
٢- الخيار الأخلاقي ٣١٦
٣- تحذيرات أخرى ٣١٨
٤- ترجمات «منقوصة» ٣١٩

الباب الخامس: الأخلاقيات

الفصل التاسع: المدينة السابعة: الترجمة ٣٢٣
تكاثر أكوان المعاني: "أفلاك العدالة"، "مدن" و"خلافات" ٣٢٤
هو ذاته والآخر. الخاصّ والأجنبي ٣٢٨
١- «كي يتعلّموا الكلام... » ٣٢٩
٢- الأنا الآخر أو الأنا كآخر؟ ٣٣٠
٣- المنفى اللغوي الباطني ٣٣٧
أدبيَّاتُ التّرجمة ٣٣٨

١- الترجمة المسؤولة: استقبال الآخر بوصفه آخر ٣٤١
٢- الضيافة الكلامية ٣٤٣
٣- إعادة التفكير في الكوني ٣٤٦

الباب السادس: السياسات

الفصل العاشر: سياسة بابل. الدول واللغات والترجمة ٣٥٥
«تقرير غريغوار»، تَنقية مثالية ٣٥٦
١- بحث قومي واسع النطاق ٣٥٧
٢- من التّرجمة إلى التنقية ٣٦٠
٣- استئصال اللهجات الإقليمية، عقلنة اللغة الفرنسية ٣٦٣
٤- الجسم الاصطلاحي للأمة ٣٦٥
٥- نحْوٌ وقاموسٌ جديدان ٣٦٧
ثلاثة أسئلة تمهيدية ٣٦٨
١- اللّغة والهويّة القوميّة ٣٦٩
٢- أي تمثل للغة نريد الدفاع عنه؟ ٣٧٣
٣- هل أن تخطيطًا سياسيًّا للغة ممكن ومرغوب فيه؟ ٣٧٦
٤- لغة وحيدة أم لغات متعددة وترجمة؟ ٣٧٨
٥- مكانة الترجمة في نماذج السياسة اللسانيّة ٣٨٢
حرب وسلم لسانيّان: تدقيقات مفهومية ٣٨٦
١- اللّغة الجماعية، النّاقلة، الأم، الرسمية الوطنية، الدولية ٣٨٦
٢- أصناف من التعددية اللغوية ٣٨٩

٣- من المساواة إلى الهيمنة ٣٩٠
٤- ضبط استعمال اللغة، معيارية العلاقات بين اللغات..... ٣٩٢
٥- موت اللغات ٣٩٤
٦- لغة الثقافة ولغة الخدمة ٣٩٦
ثلاث عشرة دراسة حالة..... ٤٠٠
١- تركيا: ثورة جذرية ٤٠٠
٢- الروسية لغة إمبراطورية ٤٠١
٣- الصين: عصريّة أم تقليد؟..... ٤٠٣
٤- يوغسلافيا السابقة: تقسيم لسانيّ مصطنع ٤٠٥
٥- فرنسا: مفارقات الاستثناء الثقافي ٤٠٦
٦- بلجيكا: ازدواجية لغة جعلت إقليمية..... ٤١١
٧- كندا: نموذجان لازدواجية اللغة متقابلان..... ٤١٤
٨- سويسرا: التعدّدية اللّغويّة المسلّم بها ٤١٨
٩- العبرية الحديثة: لغة مُبتَعثة ٤٢٢
١٠- الولايات المتحدة: عفويّة الامتزاج الاجتماعي ٤٢٤
١١- غوامض المعهد اللسانيّ الصيفي..... ٤٢٧
١٢- الجيفاروس: سياسةُ مقاومة..... ٤٢٩
١٣- المثال الإسبرانتي..... ٤٣٠
المخبر الأوروبي: الإنجليزية، لغة وحيدة؟..... ٤٣٢
١- طوباويّة كئيبة ٤٣٣
٢- ترقية التنوع اللغويّ في مواجهة "الاصطلاحات التعبيرية اللغويّة المعدّلة" ٤٣٥

٣- مواطنون أوروبيون ثلاثيو اللغة ٤٣٧
٤- دروب استعمال.....٤٣٩
٥- التعدّدية اللغويّة والتّكوين الجامعي والبحث العلميّ ٤٤٢
٦- "أوروبا تفكر بلغات كثيرة" ٤٤٤

الباب السابع: الخاتمة

الفصل الحادي عشر: الترجمة كنموذج. القانون مثالًا ٤٥١
ما معنى نموذج؟ ٤٥٢
كيف تُكون الترجمة براديجمًا؟ ٤٥٥
ميادين في انتظار التّرجمة ٤٦١
١- حوار العلوم ٤٦٤
٢- طريقة الحكم.....٤٦٧
٣- ليبيراليّون واشتراكيّون ٤٧٠
٤- حوار الأديان.....٤٧٣
القانون كترجمة ٤٧٥
١- القانون الدوليّ العامّ والقوانين الوطنيّة متعدّدة اللغات.....٤٧٦
٢- القانون الدّوليّ الخاصّ.....٤٨١
٣- القانون المقارن ٤٨٣
٤- القانون المعولم ٤٨٧
٥- قانون اليوميّ.....٤٩٢
٦- مسألة أخلاقيات أيضًا.....٤٩٥

٧- ردّ فعل التجربة القانونيّة على البراديجم الترجميّ ٤٩٧

ملحق ٥٠١
ثبت المصطلحات ٥٠٥
أولًا: عربي-فرنسي..... ٥٠٥
ثانيًا: فرنسي-عربي ٥٥٠
كشاف الموضوعات..... ٥٩٥